الفصل الخامس

العمل الحركي والمجتمع

الفصل الثاني

العمل الحركي والمجتمع

عرضنا في صفحات سابقة أهمية العمل الحركي بالنسبة للمرأة وللفكرة والحفاظ عليها من أن تدرس وتضيع بين كتب المؤرخين وتصبح مادة تاريخية يتناولها أهل التاريخ بالقبول أو الرفض وفي الصفحات التالية سنتناول الفوائد التي تعود على المجتمع من جراء انخراط عدد من أبنائه في العمل الحركي الإسلامي وهي :

أولاً : يسرع في عملية التغيير :

وذلك نتيجة إشراك عدد كبير من أفراد المجتمع في عملية التغيير، وكذلك لأن ـ جيل التغيير ـ غالباً ما يكون من قادة الفكر في البلاد مما يعطي عملية التغيير بعداً فكرياً جماعياً وتعتمد الجماعة أو الحركة في تسريع عملية التغيير أو ابطائها على عدة أمور:

١ـ الخطة الصالحة القادرة على التغيير.
٢ـ طبيعة الواقع المراد تغييره بين قوة وضعف.
٣ـ قدر ة القيادة على استيعاب التحديات وامتصاص الابتلاءات.
٤ـ قدرة الأفراد ـ ذكوراً وإناثاً ـ على الصبر وتحمل المشاق المرافقة لعملية التغيير.
٥ـ قدرة الحركة على استقطاب أكبر عدد ممكن من الناس وضمهم إلى صفوفها ـ سواء تم ضمهم إلى الحركة كأعضاء فيها أم بقوا خارج الخط كأنصار للحركة.

٦ـ قدرة الحركة على التعامل مع الواقع الجديد بوضع خطط وقائية للمشكلات التي قد تنشأ نتيجة تغيير الواقع السابق.

٧ـ قناعات الناس من خارج الحركة بأن الحركة قادرة على قيادة عملية التغيير وأنها

قادرة ـ بعد ذلك ـ على قيادة الواقع المغير الجديد قيادة حكيمة لأنه بمقدار شعورهم هذا يكـون تفـاعلهم مع الحركة وبمقدار قناعتهم في البديل وشعورهم بإخلاص العاملين يكون تعاملهم مع الواقع الجديد وتفاعلهم مع الحركة التجديدية التغييرية الإسلامية مما يؤدي إلى تسريع عملية التغيير وثانياً المحافظة على الواقع المغير إذ أن المهم ليس التغيير فحسب، بل الأهم من ذلك الحفاظ على الواقع المغير.

ثانياً: يشترك أكبر عدد ممكن في حركة التغيير:

فالحركة بحكم أنها تتكون من مجموعة كبيرة من الأعضاء والعضوات وبحكم أنهم جميعاً ـ بدرجات متفاوتة ـ شاركوا في عملية التغيير فيصبح شرف الثورة وانتصار الانقلاب ونتائج ذلك الايجابية موزعة على كافة الأفراد، أي موزعة على كافة أفراد الوطن الذين شاركوا في عملية الانقلاب الإسلامي ـ سواء الذين انضموا إلى الحركة كأفـراد أو قيادات أو الـذين ناصـروا وتعاطفوا مع الحركة وهم أبناء الشعب، وكل الشعب إلّا حفنة بسيطة من الناس لا يأبه لهم ولا ينظر إليهم. فالذين ناصروا الحركة ولم يشاركوا في التغيير والذين تعاطفوا مع الحركة فإن لم يشاركوا مشاركة فاعلة في عملية التغيير إلا أنهم يشاركون في المحافظة على ثمرات التغيير والواقع الجديد ـ وهم النسبة الأكبر من أبناء الوطن ـ.

وهـذا بالتـالي يعـطي مؤشـراً على طبيعة المرحلة التالية، لأنتصار الانقلاب الإسلامي ومن هذه المؤشرات:

١ـ مشاركة كافة الأفراد ـ ذكوراً أو إناثاً ـ في المحافظة على الواقع الجديد ومكتسبات الثورة والانقلاب.

٢ـ يشعـر كل فرد من أفـراد المجتمـع أنه جزء من الانقلاب، وبالتالي فله شرف المشاركة مما ينمي فيه روح المصلحة العامة وينمي فيه روح العمل الجماعي.

٣ـ يمنع تسلط حفنة من الأصنام في حكم الشعب الذي جاهد جهاداً مريراً لأجل تغيير الواقع.

هذه مؤشرات ـ وغيرها ـ تبين بعض النتائج التي قد تحصل من تعامل وتفاعل أفراد المجتمع، مع الواقع الجديد نتيجة لاشتراك أكبر عدد منهم في عملية التغيير.

ثالثاً: يميز بين الصالح وغير الصالح من أبناء المجتمع الواحد:

ويظهر العمل الحركي الصالح من غير الصالح من ناحيتين:

الأولى: من ناحية الأفراد: إذ أن المحنة والتجربة والمواجهة هي التي تصنع الرجال. وهي التي تظهر العملاء، والمتخاذلين والمتآمرين على الإسلام، ودولة الإسلام وتظهر العاملين المخلصين للإسلام ودولته، وتظهر المنظّرين له دون عمل وجهاد لأجله وهذه الأصناف الثلاثة لا يخلو منها مجتمع حتى لو كان مجتمع دولة الرسول ﷺ. فبالاضافة إلى وجود الصحابة المخلصين العاملين للفكرة الإسلامية فقد وجد في الصف الإسلامي ـ في ذلك الوقت وكل وقت ـ مجموعة من المندسين الذين أظهروا الإيمان والإسلام وأبطنوا الكفر وعداوتهم للإسلام وهم الذين يسمون بالمنافقين وهم الذين يقولون ما لا يفعلون، والذين يسيرون مع محمد ﷺ في جيشه لزعزعة الصف من الداخل وكشفتهم التجربة وظهروا عند أول مواجهة فعند الصائغ يظهر الذهب من النحاس ويفرق بينه، وفي محك العمل الإسلامي الحركي يظهر المتآمر على الإسلام ويظهر المتعاطف مع الإسلام والإسلاميين، ويظهر مقابل ذلك العامل في صف الجماعة المجاهدة في سبيل الله، وإخراج أبناء الوطن من ظلمات جاهلية القرن العشرين إلى نور إسلامية القرن الحادي والعشرين إن شاء الله.

الثانية: من ناحية الأفكار: وتظهر الحركة غثائية الأفكار والمذاهب المنتشرة في المجتمع سواء عن طريق المحاضرات أو الوعظ والإرشاد أو عن طريق المشورات أو المقابلات الشخصية مع الناس فالحركة هي الأقدر على متابعة الأفكار وملاحقتها

وإجراء الدراسات والبحوث لإظهار غثها من سمينها وتوزين كافة الأفكار الإنسانية بميزان الإسلام والقبول بها أو رفضها بناء عليه وهذه مهمة قامت بها الحركات الإسلامية على اختلاف مشاربها أتم قيام ونشرت البحوث والمنشورات لتوضح للناس طريق الحق من الباطل، ولا يتسع المكان هنا لضرب الأمثلة.

رابعاً: تميت أعداء التغيير في المجتمع:

أو على الأقل بطرحهم على فراش المرض، وقد يكون أعداء التغيير هم مجموعة من علية القوم ـ وهذا الأعم الأغلب ـ يقاومون التغيير ويعلنون الحرب على جيل التغيير الإسلامي. وقد تدفع مبالغ باهظة لتحقيق هذا الهدف ـ تدمير سيل المد الإسلامي ـ إذ أن علية القوم يرون في هذا المد إضراراً بمصالحهم ووقوفاً في وجه غطرستهم وظلمهم واستغلالهم للشعب الذي ينتمون إليه انتماء اسمياً لا انتماء حقيقياً فعلياً والفرد الذي يعمل لمفرده يجد صعوبة في مواجهة علية القوم وينتهون من تأثيره بيسر وسهولة.

وكذلك لو كان أعداء التغيير حركة ـ أو مجموعة حركات ـ لها قيادة ومخططات وأفراد كلهم يعملون لمقاومة التغيير الإسلامي واجهاض العمل الإسلامي... فكيف يصمد أمامها بعض من الدعاة كل يعمل بمفرده ولا ترابط بينهم ولا تنسيق فالحركة لا بد أن تواجهها حركة مثلها نداً بند ومخططاً بمخطط وأفراداً بأفراد ونشاطات بنشاطات وقيادة هنا تقاوم التغيير الإسلامي وقيادة هنا تدعو له وهو هدفها الأول الذي تسعى إلى تحقيقه.. ويبقى المنتصر في النهاية الأقدر على إقناع الشعوب بصحة فكرته وعمقها في الأمة وقدرة المجتمع على التمييز الصحيح بين الواقع المأفون وبين الكنز المدفون الذي استخرجه أصحابه بعد طول غياب، وسيكون النصر في النهاية للفكرة الأعمق وأصحاب الفهم الأشمل والتغيير الأمثل، ويموت أعداء التغيير الإسلامي أويطرحون على فراش المرض، وواقع الأمة اليوم كله يشير إلى ذلك ولسان حالها يقول: إنني مهما طال أمد المرض فإنني أمة لا تموت وإنما تمرض وتمرض فقط.

خامساً: تنمي في المجتمع روح الحركة والتجديد:

إن جميع البلدان المتطورة والمتأخرة ـ أحياناً ـ يوجد فيها جماعات وأحزاب أو حركات تساهم في تحريك المجتمع سياسياً أو اقتصادياً واجتماعياً وذلك من خلال تنافسها على الحكم أو جمعيات وجماعات تقدم أعمالاً خيرية وتحصر نشاطها في هذا الجانب وهناك أندية رياضية تخدم جانباً معيناً من جوانب الحركة الشاملة، وهو القطاع الرياضي وهناك جميعات نسائية أنشئت أصلاً لأهداف خاصة، إن جميع هذه التجمعات وغيرها طبعاً تساهم في تحريك المجتمع وبث روح النشاط والحركة بين الناس إلا أن هذه الحركة غالباً ما تكون حركة عادية ونشاطات روتينية. ومساهماتها آنية لا تعمل على تغيير الواقع المعاش وهو الواقع المأسوي طبعاً، وكذلك فإن تغيير الرؤساء مثلاً لا يغير جوهرياً من واقع المجتمع بل يكمل سيرة وسياسة سابقة، وإن خالفها فهي مخالفة سطحية لا تصل إلى الجذور والأعماق، وبالتالي فهي تغيير رؤوس وأشخاص وتبديل آخرين مكانهم، وهذا ينطبق كذلك على أهداف الأندية الرياضية والجمعيات الخيرية وغيرها ـ إلا من رحم ربي ـ.

فالأحزاب والجمعيات ذات الصفة السابقة تساهم في تحريك المجتمع، ولكنها لا تساهم في تجديده. أما الحركة الإسلامية التغييرية فهي تساهم في التحريك وتساهم في التجديد بل هدفها هو التجديد وليس التحريك، وما العمل الحركي إلا لتجديد الواقع، فللحركة الإسلامية ـ أي حركة إسلامية ـ أهداف تريد تجديدها في المجتمع ومنها:

١ـ تصحيح العقيدة وتوضيحها في المجتمع من خلال إزالة الغشاوات التي سيطرت على فهم الناس للعقيدة الإسلامية السمحة.

٢ـ تعديل وتجديد طرائق التفكير عند كافة أفراد المجتمع بما يتناسب مع الفكرة الإسلامية.

٣ـ ايجاد روح الحركة للعمل العام والتفاعل بين الأفراد لتحقيق الأهداف.

٤ـ الوقوف في وجه الظلم والطغيان والدكتاتورية أياً كان مصدرها.

٥ـ كشف مخططات الأعداء والمتربصين بالأمة ومحاولة قطع الطريق عليهم.

٦ـ تجديد فهم المرأة لنفسها وفهمها لدورها في مجتمعها الصغير ـ الأسرة ـ ومجتمعها الكبير وكذلك مجتمعها الأكبر ـ الإنسانية ـ وأن تتفاعل المرأة مع الفهم الجديد لدورها في قلب الأوضاع القائمة.

٧ـ إعادة الخلافة الإسلامية من جديد.

ومن خلال ذلك نرى أن الحركة الإسلامية لا تريد تحريك المجتمع فقط ولو أرادت ذلك لاكتفت أن تشكل من نفسها حركة رياضية لتحريك المجتمع أو منتدى فكري يحرك الناحية الثقافية في المجتمع أو اكتفت أن تكون مجموعة من الجمعيات الخيرية التي تقدم يد العون والمساعدة للفقراء والمحتاجين.. وغيرها، ولكن الحركة الإسلامية حركة تجديدية فهي تريد ذلك كلّه بالإضافة إلى غيره من متطلبات الانقلاب والتغيير.

سادساً: فتح باب الاجتهاد:

أما من ناحية رفع الجمود عن فكر المجتمع وذلك من خلال المحافظة على باب الاجتهاد مفتوحاً وإفساح المجال لفقهاء الحركة للحكم على الأمور المستجدة في المجتمع بشكل عام، وواقع ومسيرة الحركة بشكل خاص التي تحتاج إلى أحكام شرعية من التحليل والتحريم وغيرها وهو الباب الذي أغلق، فظهر الإسلام بشكل غير مباشر ـ بنظر الكثيرين ـ إنه جامد لا يصلح لكل زمان ومكان. ففي غياب الحكومة الإسلامية يصبح رفع الجمود عن فكر الأمة واحدة من أهم مهمات الحركة الإسلامية وإظهار الإسلام على حقيقته حتى في غياب تطبيقه كدين شمولي وعالمي وصالح لكل زمان ومكان.

سابعاً: تشكّل الحركة مصدر ازعاج للدكتاتورية والإلحاد:

فالحركة تنشط في مجال الآثار السلبية للحكم الدكتاتوري وتوضح للناس

مظالم الـزعيم الـدكتـاتـوري وهـذا دور قامت به الكثير من الحـركات الإسلامية واستطاعت بعد تخطيط وتكتيك إن تحقق أهدافها ومنها من لم يحقق أهدافه من هذه النـاحية والـطريقة المثلى لتغيير الزعامات الدكتاتورية هي تشكيل رأي عام مضاد للدكتاتورية وأصنامها وقوي جارف يجرف كل القوى التي تساند الدكتاتور وأصنامه وإذا استـطاعت الحركة تشكيل مثل هذا الرأي العام الفاعل فتكون قد حققت أو قطعت نصف الطريق نحو القضاء على دكتاتورية الفرد وذلك لأن تشكيل الرأي العام يعمل على :

١ـ إن التغيير عن طريق الرأي العام ـ الذي تشكله الحركة ـ يعني عدم القبول بفكر الزعيم الدكتاتور وعدم الرضا بحكمه كذلك وبالتالي فإن التغيير يصبح مطلباً شعبياً، وإن المجمـوعة الهائلة من الناس التي طالبت بالتغيير هي نفسها التي تحدد لون الحكم الجديد المطلوب.

٢ـ إن الحـاكم الجـديد يحسب حسـاب الشعب الذي قضى على سابقه فيحكم بالعدل وكما يريد الشعب لا كما يريد هو فقط.

٣ـ إن قدرة الحـركـة في التـأثير على الرأي العام الفاعل يعني قدرتها على توجيه الأشخاص الذين في سدة الحكم نحو الحكم الإسلامي الصالح.

٤ـ إن توجيه الرأي العام الفاعل الوجهة الإسلامية يعني مقاومة الإلحاد شعبياً ومن ثم حكومياً.

٥ـ إن الحـاكم يشعـر بالمراقبة من قبل الحركة عليه فيخاف ازعاجها له فيحذرها ويتجنب ما يغضبها وما يتناقض مع أفكارها.

٦ـ وإنه بمقدار قوة الرأي العام تكون فاعليته، وبمقدار قوة الحركة تكون سيطرتها على الرأي الفاعل وبالتالي فإن من مهمات الحركة الإسلامية تفعيل دور الرأي العام للتأثير على السلطات أو الحكومة أو السلطة التنفيذية فبمقدار سيطرة الحركة على الرأي العامل الفاعل يكون توجيهها للنظام الحاكم.

ثامناً: تنمي روح الوعي العام:

وتبث الحركة الإسلامية الوعي العام من خلال طريقتين:

الأولى: من خلال تثقيف المجتمع وتعليمه وتقوية وازعه الديني، فالحركة تعقد الدورات العامة الثقافية لتثقيف المجتمع بالثقافة الإسلامية، وتعقد دروس الوعظ والمهرجانات والمحاضرات والندوات وإصدار المنشورات والمقالات العامة وتصدر الجرائد والمجلات لتوعية الشعب وتعليمه وتثقيفه، بالإضافة إلى وضع منهاج واضح لتعليم وتثقيف أبناء الحركة نفسها حتى يصبحوا أكثر عطاء وأكثر وعياً.

الثانية: إن الحركات بشكل عام تطلع على أمور قد لا يطلع عليها الآخرون من أبناء الشعب ويعرفون من أسرار الدولة أكثر من غيرهم بحكم مشاركتهم في النشاط العام ومتابعتهم للأحداث الجارية خصوصاً لما يحدث من وراء الكواليس.

تاسعاً: يساعد على وضع خطط ناجحة لعلاج أمراض المجتمع:

إن أي حركة لا يهمها تغير الواقع ومعالجة أمراض المجتمع الآنية والمزمنة هي حركة مصلحية تريد أن تحقق أهدافاً شخصية أو أهدافاً خاصة بها كحركة ومن هنا يقاس دور الحركة في التفاعل في ا لمجتمع أو عدم التفاعل معه، فالتفاعل مع المجتمع لا يعني قبول الواقع السيء للمجتمع، والتعامل معه بناء عليه وتفاعل الحركة مع المجمع يجب أن يكون للمعالجة لا للقبول بالأمر الواقع، ونرىٰ أن بعض الأحزاب والحركات سعى للاستفادة الشخصية أو الحركية ـ أحياناً ـ من معطيات الواقع الفاسد، وبالتالي الحفاظ على الواقع ـ بل زيادة الهبوط بالواقع نحو الأسفل باعتبار أنه كلما ساءت حالة المجتمع كلما أخذت الحركة مكانتها الأعلى في المجتمع أي أن مثل هذه الحركات كالذباب والحشرات لا تعيش إلا على الوساخة والقذارة وأكوام القمامة والنظافة عدوها الأول وهذه الحركات تعيش على رذيلة المجتمع وفحشه وطلاق أخلاقه، وعودة الفضيلة عدوها الأول، وقد تموت الحركة

كلّما زادت العلاقات وداً بين الفضيلة وبين المجتمع وبين المرأة وبين المجتمع، فطلاق الأخلاق غذاؤها وعنصرها المحرك ووجود الأخلاق موتها وفناؤها.

هذه الحركات وهي كثيرة إحدى التحديات التي تواجه الحركة الإسلامية والتي يطلب منها أن تعالج واقعها التعس فأساس الأمراض الاجتماعية التي تواجه المجتمع هذه الحركات أو التجمعات البغائية.

فالحركة هي التي تكشف الأمراض أولاً ثم تدرس دراسة لأولويات العلاج ثم وصف العلاج المناسب لكل مرض مهما كان هذا المرض صغيراً أو مزمناً ووضع الخطط اللازمة لتحديد زمن التنفيذ وقطف النتائج وإعطاء البدائل في حالة فشل العلاج ومتابعة المرض حتى القضاء عليه وتجنيد أكبر عدد من الأفراد ـ ذكوراً وإناثاً ـ للاشتراك في النهي عن المنكر على اختلاف أساليبه ووسائله وصوره وأشكاله.

عاشراً: إنشاء الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم:

وهو واحد من أهم الأهداف التي تريد أن تصل إليه الحركة الإسلامية وهو الثمرة ا لتي لا بد منها لكل نشاطات الحركة وأعمالها وتحركاتها وهي النتيجة التي لا بد منها للوصول إلى الهدف الأول والأساسي للحركة وهو إقامة حكم الله في الأرض وإنشاء الحكومة الإسلامية.

فالوصول إلى الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم هو الطريق للوصول إلى تحقيق الأهداف وإلا فإن تحقيق الأهداف والوصول إلى الغاية الكبرى يصبح أمراً بالغ الصعوبة وإن قام فهو معرض للإنهيار بسبب ضعف الأساس والأرضية التي قام عليها البناء واعتمدت عليه الحكومة الإسلامية، فعندما يتحقق الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم تكون قد تحققت الحكومة الإسلامية بعد ذلك مباشرة كنتيجة حتمية لا بد منها ولا مناص عنها وتصبح مطلباً شعبياً عاماً لا ينفك عنه واحداً من أفراد المجتمع، وتتحول بالتالي قضية إقامة الحكم الإسلامي من قضية

حركية تهتم بها مجموعة من الحركات الإسلامية إلى قضية شعبية عامة يتحرك لها كافة أفراد الشعب بلا استثناء.

وتكـوين الفرد المسلم لا يعني دخول أفراد جدد إلى الإسلام وكذلك لا يعني جعل الأفراد الذين لا يصلون يصلون فحسب بل هي تشكيل عقلية الفرد المسلم تشكيلة قرآنية فلا يتحرك الفرد إلا بالقرآن فيعيش للقرآن ويعيش مع القرآن.

إن تشكيل شخصية الفرد المسلم بهذه الصورة مهمة كبرى على عاتق الحركة الإسلامية العامة بشقيها النسائي والرجالي، والتخلص من داء الغثائية التي وصف بها رسول الله ﷺ جيلنا المنكود، فتشكيل الفرد المسلم يؤدي إلى تشكيل البيت المسلم، وتشكيل البيت المسلم يؤدي إلى تشكيل المجتمع المسلم، لأنه يتكون من مجموعة من الأسر المسلمة، وبعد ذلك تأتي النتيجة الحتمية وهي إقامة الحكم الإسلامي.